

الفصل الأول "فى البدء كان الكلمة" رواية "الواقعة" ثلاثية المشى على الصراط "الجزء الأول"

نشرة "الإنسان والتطور" 2018/05/12
السنة الحادية عشرة - العدد: 3906



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

استهلال:

نشرنا الأسبوع الماضى (على مدى ثلاث أيام) مقتطف بعنوان: الفصل الثالث (يمامتان) من روايتى الأولى "الواقعة" لعله يبين كيف توصلتُ إلى بعض فروضى من خلال أكثر من أداة وتشكيل، ومن ذلك "الإبداع الروائى".

وحيث اضطررت للضغط على من يعملون معى تحت زعم إجراء بحث: عن طبيعة ومدى المشاركة، وأبعاد الكسل أو التكاسل، وعلاقة ذلك بالفعل اليومى والمسئولية العلاجية، وبرغم ألى وخلى من استعمال هذا الأسلوب كما بينت فى بريد الجمعة السابق، إذا بما حصلت عليه من استجابات برغم الضغط، يوضح لى ملامح بعض ما كنت أتصور، مثلاً:

أولاً: مدى علاقة هذا العمل الروائى بخبرة ما يسمى المرض النفسى، على لسان حال المريض.

ثانياً: مدى فائدة تقمص المريض وتصوير حركية المرض من وجهه نظره وما يمكن أن يثيره ذلك فى المتلقى (الطبيب/المعالج) من حركية النقد، ومن ثم يبين أكثر فأكثر بعض ملامح مصطلح "نقد النص البشرى"، كمرادف للعلاج الأعمق.

ثالثاً: احتمال الربط بين مصادر الفروض ومعلومات الخبرة فيما يطور التطور والإبداع من خلال التطبيق لمن يتصدى لممارسة هذا الفن العلاجى بكل أبعاده الطبية والإبداعية.

وبعد

من خلال هذه التجربة، وبما أننى أعيد مراجعة هذه الرواية التى صدرت منذ نصف قرن إعداداً لإصدارها فى طبعة ورقية قريباً، خطر لى أن أوصل نشر فصولها، بنفس أسلوب تجربة الأسبوع الماضى للأسباب السالفة الذكر!!

ونبدأ اليوم بالفصل الأول مقسماً على ثلاث أيام بنفس النظام السابق فى الأسبوع الماضى.

(ثلاثية المشى على الصراط "الجزء الأول")

شعرها معقوص للخلوة
ووجهها خال من أى تعبير
خاص، مليء بحبوبة متناثرة،
لا هى حبة الشبابة ولا هى
"نمش" الشيخوخة

كانت بلون الأرض قبل بدء
الخليقة، أو لون الموت، إن
كان للموت لون، ولكن لا
يمكن أن أنفى أنه كان لها
لون فى يوم من الأيام.

رواية "الواقعة" (1)

هذا هو الفصل الأول: "فى البدء كان الكلمة" ننشره على ثلاثة أيام: الجزء الأول اليوم، الجزء الثانى باكر ويليه الجزء الثالث والأخير بعد باكر، وطبعا أى جزء لا يقرأ منفصلا.

الفصل الأول: "فى البدء كان الكلمة"

الجزء الأول: (الثانى: غداً، والثالث: بعد غد)

-1-

- الاسم يا سيد؟ !

قالتها تلك المرأة القابعة وراء الشباك للواقف فى أول الصف، شىء عادى تماماً، إذ لا بد أن لكل واحد منا اسم، ولا بد أن نُسأل عنه إذا كان غيرنا لا يعرفه، ولكن فى ذلك اليوم لاحت علامات الساعة من خلال هذه الكلمة العابرة "الاسم يا سيد".

الصف الطويل ينتظر، الموظفة المتلكة وراء النافذة تراجع الأوراق وتحدث جارتها بين الحين والحين، وكأنهما يتناقشان فى شىء ذى بال، شعرها معقوص للخلف ووجهها خال من أى تعبير خاص، مليء بحبوب متناثرة، لا هى حب الشباب ولا هى "تمش" الشيوخة، ليس لبشرتها لون، وإن كان الناس قد اعتادوا أن يقولوا عن مثيلاتها "سراء"، لكنها فى هذه اللحظة كانت بلا لون، أو قل كانت بلون الأرض قبل بدء الخليقة، أو لون الموت، إن كان للموت لون، ولكن لا يمكن أن أنفى أنه كان لها لون فى يوم من الأيام.

طال الانتظار، الصف يتحرك ببطء شديد، قوة تجذبنى إلى الخلف حتى حسبت أن الواقف ورائى يشدنى من قفاى، تلفت حولى فإذا بينى وبينه حاجز طبيعى متكور دفع بنصف جذعه للوراء، شىء يطمئن، قفاى ليس فى متناول يده، رجعت أنظر إلى المرأة معقوصة الشعر، خيل إلى أنها تدبر مكيدة يفنى بها العالم حتى تتخلص من عملها هذا، طردت هذه الأفكار التى كانت تراودنى بين الحين والحين، وكنت اعتبرها من قبيل الفكاهة، ولكنها بدت اليوم وكأنها عين الجد، الوقت يمر ببطء، بالأمس كان عندى ذلك السباك الطيب، كان هادئاً وديعاً مستغرقاً فى عمله وهو يصلح الصنبور، عمل تافه ولكنه كان يوديه بعناية وإتقان وكأنه يصلح أحوال الكون، وجهه رائق يشع نورا لا تعرف طبيعته أو مصدره، يخرج بعد الإصلاح وكأنه يتسحب خوفاً من أن يضبطه أحد فيرغمه على أخذ حق الإصلاح، لحقت به عند الباب فى آخر لحظة ومددت يدي بما قسم، نظر إلى الأرض قائلاً:

- لزومه إيه يا بيه؟

- حَقك ياعم محفوظ

- الحق عند الله

أغاظنى هذا الرجل غير المحتاج إلى شىء، ستة أولاد، الأسعار نار والعمل بسيط والأجر زهيد،

الأمس كان عندى ذلك
السباك الطيب، كان هادئاً
وديعاً مستغرقاً فى عمله وهو
يصلح الصنبور، عمل تافه
ولكنه كان يوديه بعناية
وإتقان وكأنه يصلح أحوال
الكون

وجهه رائق يشع نورا لا
تعرفه طبيعته أو مصدره،
يخرج بعد الإصلاح وكأنه
يتسحب خوفاً من أن يضبطه
أحد فيرغمه على أخذ حق
الإصلاح

من أين له بكل هذه السكينة
والرضا؟ من أين له بثمن
الخبز إذا هو لم يتقاضى منى
ومن أمثالى أجره؟

ثم ينسحب خجلا من المطالبة بأجره، شئ يغيب بحق، من أين له بكل هذه السكينة والرضا؟ من أين له بثمر الخبز إذا هو لم يتقاضى منى ومن أمثالي أجره؟ هذا شئ سخيف لا أفهمه،

صور أمس تواصل ملاحظتي: يحضر جارنا الأستاذ غريب بعد خروج عم محفوظ السباك مباشرة، إنسانٌ يعيش في عالم سحرى هو الآخر، يبدو عليه الاهتمام المستمر بشيء ذى بال، أحيانا يستطيع أن أفهم اهتمامه بحرب فيتنام ومجاعة بنجلادش، وأحيانا لا أدري ماذا يفعل بهذا الاهتمام، أعتبره من هواة النكد، لا يكاد يعرف كم قرشا يقبض آخر الشهر، نظراته جادة وذكية وحزينة في نفس الوقت، أحس فيها بإشفاق شديد خال من الاحتقار في معظم الأحيان،

أحيانا، أبادله نظرة عدم مبالاة تحمىني من اختراق عينيه، هذا الإنسان الذاهل يحاول أن يستدرجنى إلى شيء لا أعرفه، شيء لست فى حاجة إليه، لا.. لن يحدث "ذلك" مهما ("ذلك" الذى لا أعرفه لكن يبدو أنه سر الوجود)، ومع كل هذا حاولت أن أتلف مع أمس، بلا مناسبة - بعد انتهاء المكالمة الهاتفية، دعوته برغبة حائرة،

- إجلس يا أستاذ "غريب" .. تفضل، استرح.

- أخشى أن أضيع وقتك،

ماذا فى رأس ذلك المتوحش؟ فيم أضيع وقتى إن لم يكن فى الجلوس معه ومع أمثاله، لا ليس مع أمثاله، مع أمثالي أنا، قلت:

- بالعكس، كيف حالك؟

نظر إلى نظرة ما، هذه نظرة لا أقبلها، لن أسكت على هذا الوغد، إن كان يحتقرنى إلى هذا الحد فلا بد أن أبدو فى غاية السعادة، هو الذى يحتاجنى. عندى تليفون وليس عنده حتى جرس للباب، لم يهتم أن يصلحه منذ فسد، إنه يحضر عندى لتلقى المكالمات فى منزلى علما بأنى لست مضطرا لاستقباله، أنا "أنجح" منه و"أسعد".

قطع على أفكارى:

- الإنسان مقهور أكثر من طاقته،

يا نهار أسود، أساله عن حاله فيقول إن الإنسان مقهور، ما أعبانى إذ أفتح الحديث مع مثل هذا المتوحش الأبله، إما أنه لا يفهم معنى الكلام أو أنه يستهين بى وبترحيبى وبحديثى من حيث المبدأ، ومع ذلك سوف أريه:

- عندنا قهوة بيتى، وهى من مزايا الزواج، تشربها على الريحة أم مضبوطة،

سوف أعدد له كل المزايا التى أتمتع بها زيادة عنه قبل أن يخرج،

- شكرا، أفضل الانصراف،

قالها وهم بالاتجاه إلى الباب، فزاد إصرارى على الحديث معه وكأنى على وشك الانتصار،

- لايمكن، ما رأيك من زمان،

استطيع أن أفهم اهتمامه
بحرب فيتنام ومجاعة
بنجلادش، وأحيانا لا أدري
ماذا يفعل بهذا الاهتمام،
أعتبره من هواة النكد

نظراته جادة وذكية وحزينة
فى نفس الوقت، أحس فيها
بإشفاق شديد خال من
الاحتقار فى معظم الأحيان

أطرق إلى الأرض وكأنه يفكر في حل مشكلة الحدود الصينية السوفيتية،

- هل حقا تريد رؤيتي؟

ترددت في الإجابة لأني لا أريد رؤيته إذا كان ذلك ممكنا، ولكن طالما هو كائن حي له جسم يتحرك في الشقة المقابلة فلا بد من رؤيته حسب القوانين الطبيعية لبقاء المادة، أنا لا أطيق وجوده أصلا، ينبغي أن يباد هذا الصنف من البشر من على ظهر الأرض، أولئك الناس الذين لا ينظرون إلى وجهك، تحس بنظراتهم تثقب أحشاءك مباشرة، ليسوا منا، يتصورون أنهم هم الذين يعيشون وغيرهم في عداد الأموات، يتلطفون معنا ليستعملونا "كأشياء" ليس إلا، ثم هم لا يتركونا في حالنا، سوف أحطم هذا المتوحش.

- طبعاً، الناس لبعضهم

هيه! أفحمته حتى يعرف أني أعرف انتهازيته، وأجمله بمحض اختياري، وكفى تظاهرا بالزهدي تبريرا للعجز، قال على غير توقع:

- وكيف حالك أنت؟

حالي؟ أنا أسأله لأنه مسكين وغامض ووحيد، أما حالي أنا فهو ظاهر للعيان، من الذكاء أن أرد عليه فوراً "الحمد لله" حتى لا يظن بي الظنون، في نظراته صدق غريب حنون وكأنه يسألني عن حالي فعلاً- تعودت أن أسمع هذا السؤال للمجاملة وقطع الوقت، أما أن يكون سؤالاً ذا معنى وراء اهتمام جاد فهذا مالا يمكن السكوت عليه، ماله هو ومال حالي؟ هل يريد أن يتأكد أني ميت؟ وهو الذي لا يعرف للحياة طعماً، هو لم يغير سترته منذ ست سنوات بالتمام، ماله حالي؟ أليس عنده نظر؟ ألم ير قماش "الأنترية" الجديد؟ ماذا يريد على وجه التحديد؟

طال سكوتي أكثر مما ينبغي، لا بد أن أرد عليه بشجاعة حقيقية، لا بد أن أقول له إن تليفوني ليس تحت أمره بعد الآن، لا بد أن يعرف حدوده، وأن حالي هو هذا المنزل السعيد وهذا التليفون وهذا "الأنترية"، أما غير ذلك فهو خارج عن اختصاصه، لا بد أن يلزم حدوده وإذا كان يريد أن يتلقى المكالمات عندي فليعرف أن هذا وحده نتيجة أن حالي عال العال، حالي مثل حاله على أقل الفروض، سأقولها له وما يكون يكون، لا بد أن يشعر بفشله حتى يكف عن اقتحام الناس، هاك ردى بكل جسارة:

- الحمد لله

لم يرد هذا المتوحش، ظل ناظراً إلى الأرض في تفكير عميق، ليس في الدنيا ما يحتاج لكل هذا التفكير، كل شيء عنده مختلف، هل يشك في إجابتي؟ لا يصدق أن حالي على ما يرام، لماذا لا يعلن ما بنفسه حتى أرد عليه؟ جبان، سوف أحتفظ برأيي فيه حتى أستدرجه، لماذا يحتفظ لنفسه بحق الحكم على الناس؟ إنه هو الذي لا يعرف شيئاً إلا من خلال كتبه، سخي ف تافه يعيش على الهامش، مغرور يتصور أنه يستطيع أن يعدل الكون، عاجز غبي، لن يدخل بيتي بعد اليوم - يرتشف القهوة في شماتة وكأنه وحده الذي يعرف طعمها - يدير الفنجان ببطء ويتأمل كأنه لم ير مثله من قبل، جار سمج، لعن الله اليوم الذي جعله جاراً لي - ينظر إلى ثائيّة - وكأنه لا يصدق شيئاً لا يعرفه، ماله بي؟

قام في هدوء ومد يده مصافحاً - بيستم، أكاد أبصق في وجهه، أكثر عن أسناني أرد له ابتسامته

هذا الإنسان الخامل يحاول أن يستدرجنني إلى شيء لا أعرفه، شيء لسببته هي حاجة إليه، لا.. لن يحدث "ذلك" ممماً

أولئك الناس الذين لا ينظرون إلى وجهك، تحس بنظراتهم تثقب أحشاءك مباشرة، ليسوا منا، يتصورون أنهم هم الذين يعيشون وغيرهم هي عداد الأموات

الحانية فى غضب، لست فى حاجة إلى شفقتة المهينة، قال قبل أن يغادر الشقة:

- شكرا

- تحت أمرك

الجزء الثانى غدًا

(والجزء الثالث والأخير بعد غد)

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD070518.pdf

*** ** *

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: انجازات اربعة عشرة عاما من الكدح "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتاب السنوي الرابع

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3

قريباً... 2018/06/13

" شبكة العلوم النفسية العربية " تطفي: شمعتها الخامسة عشرة

وتدخل عامها السادس عشر (2003 - 2018)

بهذه المناسبة يطيب لنا ان نطلب من الاطباء والاساتذة تكرم كتابة كامة في السجل الذهبي للشبكة للعام

2018 و المشاركة في ابداء الرأي لتطويرها الشبكة (يصدر في موعد الذكرى الخامسة عشرة لاطلاق الشبكة على الويب)

رابط المشاركة:

<http://www.arabpsynet.com/propositions/PropForm.htm>

او على البريد الإلكتروني

arabpsynet@gmail.com

الكتاب الذهبي للشبكة للعام 2017

<http://arabpsynet.com/GoldBook/eBArabpsynet14YearsGoldBook.pdf>

سجل لأطباء النفسانيين

www.arabpsynet.com/propositions/ConsPsyGoldBook.asp

سجل علماء النفس

<http://arabpsynet.com/propositions/ConsGoldBook.asp>